وفي الختام نتقدم بجزيل الشكر للسادة:

-رئيس الجامعة لاهتمامه الدائم في ترقية الجامعة ودعمه المتواصل لكل الجهود العلمية المبذولة من قبل الباحثين.

-عميد كلية الآداب واللغات لتقديمه النصح والتوجيه الدائم واللازم للباحثين.

-والشكر موصول إلى الهيئة العلمية للمجلة التي أشرفت على الخبرة وإعداد المجلة، وهي لا تبغ من وراء ذلك جزاءا ولا شكورا.

أ.د/ تبرما سين عبد الرحمان

مدير مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة ومناهجها

جامعة محمد خيضر بسكرة

ترجمة آية: (يا أرض ابلعي) أهي ضياع وربح أم محض ضياع؟

د.حسين أحمد حسين كتانة، جامعة آل البيت– الأردن

د.عبد الحميد زاهيد كلية الآداب – مراكش، المغرب

ملخص:

اعتمدنا في مناقشة مفهومي (الضياع والربح) على تصور المفكر والفيلسوف طه عبد الرحمن الذي ميز بين القول الثقيل (الكلام الإلهي) والقول الخفيف (الكلام البشري). إن المفاهيم الترجمية التي تحكم القول الخفيف ليست بالضرورة صالحة للكلام الإلهي، إن أشكال الضياع في ترجمة القول الخفيف هي أشكال ربح في لغة الهدف. إن الضياع الترجمي في القول الخفيف ليس ضياعا بمفهومه المطلق، بل هو ضياع سرعان ما يتحول إلى ربح في لغة الهدف سعيا وراء تحقيق التماثل؛ أما الضياع في ترجمة القول الثقيل فهو محض ضياع، لا تقدر لغة الهدف على تعويضه، وأقصى ما تقدر عليه هو نقل بعض من معانيه في لغة تحفيزية تحفز القارئ الهدف إلى الرجوع إلى القرآن لتدارك ما فاته منه في لغة الهدف.

مقدمة:

إن خصوصية القرآن الإعجازية جعلت منه كتابا وحيدا في لغته وأسلوبه وبلاغته ونظمه، عجز الخلق عن محاكاته والإتيان بمثله. إن هذه الخصوصية تستلزم بناء نظرية ترجمية خاصة بكتاب الله، كما تستلزم أيضا مترجما من نوع خاص.

ونعتمد في هذا التصور على طرح المفكر والفيلسوف طه عبد الرحمان في تمييزه بين القول الثقيل والقول الخفيف. فالقول الثقيل في تصوره قول إلهي، والقول الخفيف قول

بشري، والمفاهيم الترجمية التي تحكم الكلام البشري ليست بالضرورة صالحة للكلام الإلهي.

نظرية الترجمة والقرآن الكريم:

إن النص المترجَم للكلام البشري قد يغنيك عن الأصل، ولكن النص المترجَم للكلام الإلهي لن يغنيك أبدا عنه. فقد تقرأ رواية مترجمة تغنيك عن قراءتها في لغة المصدر، ولكن قراءة معاني القرآن مترجمة لن تغنيك عنه أبدا.

واعتبارا مما سبق ذكره، وجب إعادة النظر في المفاهيم الترجمية ومدى صلاحيتها وفعاليتها في نقل النص القرآني. ونسوق مثالا لذلك نظرية المعادلة التفاعلية Nida (1969)(Dynamic Equivalence) التي تسعى إلى تحقيق استجابة لدى القارئ الثاني تكون شبيهة باستجابة القارئ الأول. إن هذه المعادلة لا تصلح أن تكون إطارا معرفيا، واستراتيجية لدى المترجِم في نقل معاني القرآن الكريم، ولكنها صالحة في نقل الأعمال البشرية، وقد يتوفق المترجم في تحقيقها، فتكون معيارا لجودة ترجمته. ونسوق مثالا على ذلك مقطعا من رواية (الشيخ والبحر) لارنست هيمنغواي.

Source texte :

He looked across the sea and knew how alone he was now. But he could see the prisms in the deep dark water and the line stretching ahead and the strange undulation of the calm. The clouds were building up now for the trade wind and he looked and saw a flight of wild ducks etching themselves against ahead the sky over the water, then blurring, then etching again and he knew no man was ever alone on the sea.

Target text :

نظر الشيخ إلى البحر، فوجد نفسه وحيدا في ظلمة حالكة لا يرى من خلالها إلا مواشير الضوء المنعكس على الماء القاتم، والحبل المترامي الأطراف، وتموجات الصمت

الغريبة. تجمعت السحب إيذانا بهبوب الريح التجارية، ونظر العجوز أمامه فرأى سربا من البط البري ينحت سواقي على صفحة المياه الزرقاء، ثم سرعان ما يستوي الماء لينحت الإوز سواقي جديدة، فيستوي الماء ثانية، ويدرك الشيخ أنه لم يعد وحيدا في عزلته بل هو وسط مسرح من الأحداث.

إن المعادلة التفاعلية ممكنة في الكلام البشري ولكنها مستحيلة في الكلام الإلهي. ولذلك اقترحنا في مقال بعنوان:(نحو بناء نظرية بيانية لترجمة القرآن الكريم)، أن ما ينسجم مع النص القرآني هو ما يمكن تسميته بـــ: (المعادلة التحفيزية)، حيث تكون الترجمة محفزا للرجوع إلى الأصل، لأن المعادلة التفاعلية لن تتأتى إلا مع الأصل وفي لغة الأصل عكس ما رأيناه في نص رواية (الشيخ والبحر) حيث المعادلة التفاعلية تتحقق مع (القارئ الأصلي) و (القارئ الهدف) على حد سواء.

أما المترجم، فليس كما ساد في نظرية الترجمة (Nida1964 , Nord 1991, Fawcet1997, Basil 2000) أن على المترجِم أن يكون ثنائي اللغة والثقافة، وذلك لأن الأمر يتجاوز اللغة والثقافة. ففهم القرآن وترجمته، على حد سواء، يتطلب مطلبا لا يمكن تجاوزه، وهو مطلب العلوم الشرعية الذي به يستكشف المترجم خبايا النص القرآني وما استتر منه لينقله إلى لغة الهدف. فعلى مترجم القرآن أن يكون ملما بلغة القرآن وعلومها، وبعادة العرب وثقافتها، وبالعلوم الشرعية التي تعتبر مفاتيح النص القرآني، وعليها المعول في فهم القرآن وترجمته. والرسم الآتي يوضح شروط المترجم.

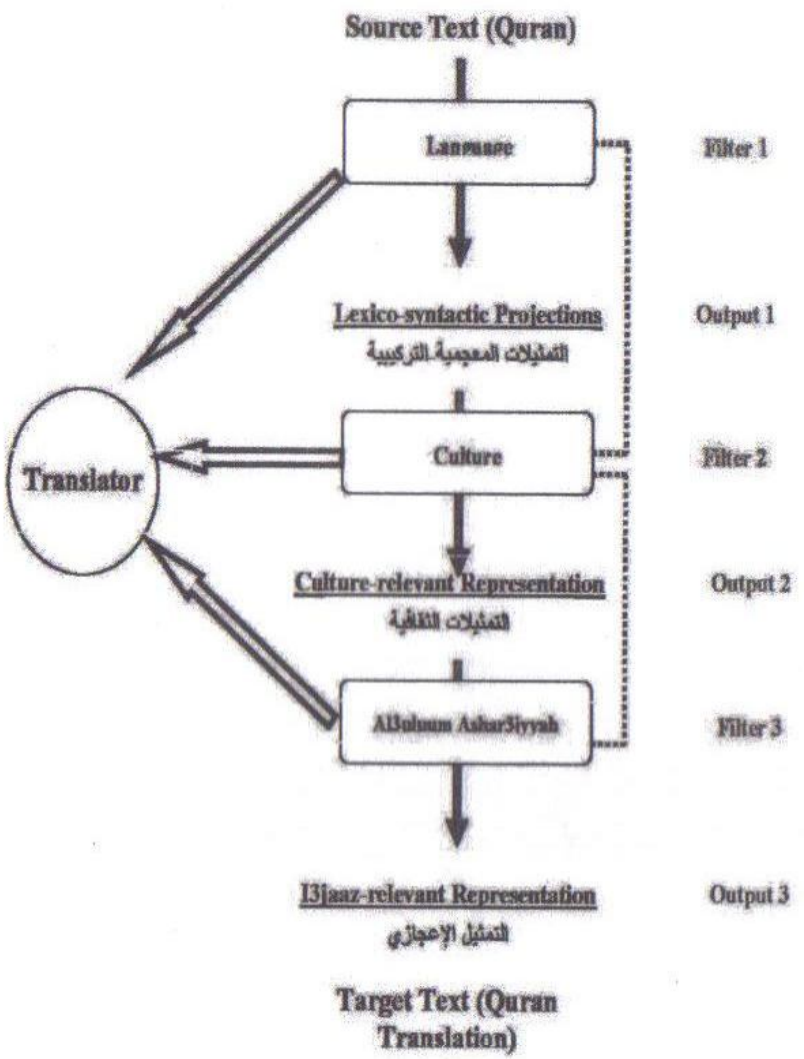

الضياع والربح *(loss and gain)*:

يعرف *sandor (1992)* الضياع بقوله: « نخصص مفهوم الضياع الترجمي *(translation loss)* للتماثل المفقود بين (النص الأصلي) و (النص الهدف). إن

الضياع الترجمي حتمية في عملية الترجمة وذلك لضياع المكونات الثقافية للغة المصدر في لغة الهدف. يجب ألا يؤرق مفهوم (الضياع الترجمي) المترجم في عملية الترجمة، بل عليه أن يعكف على التقليل والتخفيف من أثره، وذلك بتوجيهه والتحكم فيه»[1]. ويضيف *(2002)* Dickiens، إن الضياع الترجمي هو عبارة عن «نسخة ناقصة للنص الأصلي في لغة الهدف» [2].

إن الضياع الترجمي في عملية الترجمة ليس ضياعا بمفهومه المطلق، وإنما هو ضياع سرعان ما يتحول إلى ربح *(gain)* في لغة الهدف. تقول Bassnette*(1996)*: «إن مقاربة مفهومي (الضياع والربح) في عملية الترجمة مرتبط باستحالة التماثل بين لغتين. إن ما أخذه مفهوم الضياع من مناقشة عند المهتمين أثناء نقل النص الأصلي من لغة المصدر إلى لغة الهدف هو علامة أخرى من علامات أزمة الحقل الترجمي، إذ يتم إغفال ما يمكن للنص المترجم أن يربحه من لغة المصدر وذلك أن المترجم يكون مضطرا إلى إغناء النص الأصلي وتوضيحه في لغة الهدف باعتباره نتيجة للعمل الترجمي؛ إضافة إلى ذلك، أن ما يمكن اعتباره (ضياع) من لغة المصدر يمكن تعويضه في لغة الهدف» [3].

إن أشكال هذا الربح يتعدد بتعدد اللغات، ويختلف باختلاف طبائعها ويحدد *(1992)* sandor بعض أنواع الربح الذي تكتسبه لغة الهدف من الضياع الذي لحق بلغة المصدر في: الإيجاز في التعبير، وشعرية الأسلوب، وتفادي الغموض، وتوسيع الحقل الدلالي أو تضييقه [4].

ويضيف (2002) Dickins متحدثا عن الربح الترجمي (Translation gain) أنه قد يكون ذا طبيعة نحوية، وفي بعض الأحيان، أن أسلوب لغة الهدف قد يكون أجمل وأسهل في التعبير من لغة المصدر[5]. ويخلص Dickins قائلا: إن كل أشكال «الربح هي أمثلة لأشكال الضياع في لغة المصدر »[6].

إن المترجم، كما يقول *(1992)* sandor ، يسعى في عمله الترجمي أن يرجح كفة الربح على كفة الضياع؛ وذلك لأن المعادلة *(Equivalence)* تعد الدرجة الصفر في الترجمة، و(الربح) قيمة إضافية في النص المترجم و(الضياع) قيمة سلبية في النص الأصلي [7].

ولكن ما السبيل إلى تفادي (الضياع) في عملية الترجمة ؟

السبيل إلى ذلك كما يجيب sandor (1992) هو: « تفادي الجنوح المطلق لتحقيق التماثل بين لغة المصدر ولغة الهدف، في مقابل طموح معقول لتقليل الاختلافات، وذلك بأن يركز المترجم اهتمامه على ما يمكن أن يحتفظ به من لغة المصدر على حساب ما يمكن أن يضمنه في النص الهدف» [8].

إن ما يترتب على اختيار أحد طرفي معادلة (تحقيق التماثل) و(تقليل الاختلافات)، أن المترجم باختياره تحقيق التماثل هدفا استراتيجيا في ترجمته يقع بين ضفتي الضياع و الربح: ضياع من النص الأصلي وربح في النص الهدف. أما باختياره الطرف الآخر من المعادلة (تقليل الاختلافات)، فإن المترجم كما يقول sandor (1992): «دخل مشوارا لا متناهيا، ولهذا نجد من المترجمين من يعكف على ترجمة نص بعينه مرات عديدة دون أن يكون راضيا عن ترجمته »[9]، فتكون الترجمة بهذا المعنى هي قراءة لقراءة النص الأصلي.

هل يمكن الحديث عن الضياع والربح في ترجمة القرآن الكريم؟

هو سؤال أردنا من خلاله أن نبين أن ليس كل ما يروج في نظرية الترجمة صالحا لترجمة القرآن الكريم، وذلك أن الآليات النظرية في علم الترجمة تصلح للكلام البشري، وليست بالضرورة صالحة للكلام الإلهي.

إن المعادلة في ترجمة الكلام البشري يمكن تحقيقها بطرق مختلفة، عن طريق الرغبة الجامحة في تحقيق التماثل بين النص الأصلي والنص الهدف؛ وبالرغم من الضياع الذي قد يلحق بالنص الأصلي، فالمترجم الماهر قادر على تعويض ذلك بربح ترجمي في لغة الهدف، تجعل النص المترجم محافظا على جوهره ولكن بحلة تتماشى مع لغة الهدف. فتكون الترجمة في هذا السياق قراءة كباقي القراءات الممكنة.

ولكن، هل يمكن أن نقبل بأن تكون ترجمة القرآن قراءة كباقي القراءات الممكنة في القول الخفيف؟

إن على أية قراءة للنص القرآني ان تكون ملتزمة بالضوابط اللغوية والثقافية والشرعية، وأن تكون قراءة لا ترتبط بالفرد وإنما بشبكة من العلوم التي تحاول فهم النص القرآني.

إن تحقيق التماثل في ترجمة معاني القرآن الكريم أمر مستحيل وغير وارد، فالمماثلة لم تتحقق بلغته في عهد التنزيل، فكيف لها أن تتحقق بلغة الهدف؟

على المترجم أن يسلك مسلك تقليل الاختلافات في ترجمة معاني القرآن الكريم، وذلك بالاحتفاظ ببعض معانيه في لغة الهدف، والنظر مليا في خصوصيته القدسية والإعجازية، وأن يرجح من بين المعاني، معاني يحتفظ بها في لغة الهدف، وأن يرجع إلى العلوم اللغوية والشرعية التي حاولت فهم كتاب الله، وأن يقدم بعضا من معانيه في لغة تحفيزية لا تفاعلية، وذلك لأن اللغة التفاعلية مستحيلة وغير مقدور عليها، وأما التحفيزية فلأن معانيه لا تدرك إلا في لغته وحدها.

ما الذي يميز ترجمة القرآن عن باقي النصوص المقدسة الأخرى؟

رسم Nida (1991) نهجا لترجمة الإنجيل قائلا: إن على المترجم أن يقدم «في لغة الهدف نصا معادلا في معناه وأسلوبه يكون أقرب إلى التماثل من النص الأصلي »[10].

وإذا كان هذا هو نهج ترجمة الإنجيل، فالأمر ليس كذلك بالنسبة إلى القرآن الكريم. فلن تستطيع أي ترجمة الإحاطة بمعناه، كما لن تستطيع أي ترجمة مضاهاة أسلوبه، سواء في لغة المصدر أو في لغة الهدف على حد سواء. وأقصى ما يمكن للمترجم فعله في ترجمة معاني القرآن الكريم نقل بعض من معانيه في لغة لا تروي ظمأ القارئ الهدف.

وسنبين فيما يلي من المقال، أن مفهومي الضياع والربح، إن كانا صالحين في ترجمة الكلام البشري وترجمة الإنجيل حسب ما أورده Nida، فهما غير صالحين في ترجمة الكلام الإلهي. فالمفهوم الترجمي الذي يحكم ترجمة كتاب الله هو الضياع لا غير، دون أي ربح يذكر في لغة الهدف.

وإذا ثبت ما قلناه، فإن مفهوم الضياع لن يبقى مشكلا تطبيقا، كما هو الشأن في نظرية الترجمة، بل يصبح مشكلا نظريا وتطبيقيا في ترجمة كتاب الله.

الضياع في ترجمة آية (يا أرض ابلعي):

(وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) [هود، 44]

Yusuf Ali Then the word went forth: "O earth! swallow up thy water, and O sky! Withhold (thy rain)!" and the water abated, and the matter wasended. The Ark rested on Mount Judi, and the word went forth: "Away withthose who do wrong!"

Hilali-Khan And it was said: "O earth! Swallow up your water, and O sky! Withhold (your rain)." And the water was diminished (made to subside) and the Decree (of Allah) was fulfilled (i.e. the destruction of the people of Nuh (Noah). And it (the ship) rested on Mount Judi, and it wassaid: "Away with the people who are Zalimun (polytheists andwrong-doing)!"

Khalifa It was proclaimed: "O earth, swallow your water," and "O sky, cease." The water then subsided: the judgment was fulfilled. The arkfinally rested on the hills of Judea. It was then proclaimed: "Thetransgressors have perished."

(وقيـــل):

قدم الله عز وجل في الآية الكريمة (قيل) معطوفة لأنها الأصل ولا موجب لتأخيرها، وقد جاء فاعلها محذوفا تعظيما له، وليكون للعقل تصرف في الاهتداء إلى تعيينه، فيكون أعلق بالطبع وألذ للنفس[11].

وقد حذت الترجمات الإنجليزية حذو التركيب العربي في النظم، إلا أن ترجمة (قيل) بـــ (say) أو (proclaim) فيها ضياع كبير لمعنى القول في العربية الذي يفيد اللفظ المركب من الحروف، المستعمل مفردا كان أو جملة، المبرز بالنطق حسب ما أورده الراغب [12]. فكلمة (say) في الانجليزية تحتمل المنطوق والمكتوب، إضافة إلى ذلك، فإنها فارغة من محتوى الأمر التي تتضمنه (قيل) في الآية الكريمة. أما كلمة (proclaim) ففيها ضياع كبير لمعنى القول في الآية وبعيدة كل البعد عن السياق.

وتبقى ترجمة يوسف علي (the word went forth) أقرب إلى سياق الآية، لما تتضمنه من معنى الأمر. إلا أن الضياع الحاصل هنا هو صيغة المبني للمجهول التي تعتبر مظهرا من مظاهر إعجاز الآية، وذلك لأن القائل محذوف وعظمته وتفرده بالأمر يغنيان عن ذكره.

(يا أرض ابلعي ماءك):

استعملت (يا) من بين أدوات النداء، وهي حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكما، والمسوغ هنا هو بعد رتبة المنادي عن المنادى[13]. كما استعملت (أرض) بالضم دون الكسر بإضافتها للمتكلم على خلاف لفظة (الروح) في قوله تعالى: "ونفخت فيه من روحي" (الحجر: 29) حيث جاءت (الروح) مضافة إلى ياء اسم الجلالة؛ والوجه بينهما أن الروح أقرب إليه عز وجل من الأرض، ولذلك جاءت غير مضافة[14].

أمر الله عز وجل الأرض بقوله (ابلعي) وهو الزرد: يقال بَلِعَ اللقمة يريدون بذلك سرعة نزولها من الحلقوم من غير مضغ ولا علك[15]، ولم يستعمل الله عز وجل اشربي، وتشربي ونشفي، واذهبي، وذلك لأن هذه الألفاظ لا تؤدي معنى ازدراد اللقمة دفعة من غير توقف، وذلك ليرجع الماء غائرا في عيون الأرض تبتلعه بأسرع وقت، أضف إلى ذلك حسن الجناس بين (ابلعي- أقلعي)[16].

أما الماء، فقد جاء مضافا إلى الأرض فقال: (ماءك) ولم يقل: الماء، ذلك لأن ماء الطوفان ماآن: ما نبع من الأرض وما نزل من السماء. أمر الله عز وجل الأرض بأن تبتلع ماءها إعلاما بقدرة الخالق على تمييز كل من الماءين بعد اختلاطهما[17]. ولو قال الماء للزم ابتلاع المياه كلها، إذ المراد الماء الزائد على المعهود الذي كان سببا في الطوفان[18].

جاءت الترجمة الإنجليزية للآية الكريمة حرفية في اللفظ والمعنى، فضاعت معان كثيرة وعجزت لغة الهدف عن نقلها. فقد ترجمت (يا) النداء للبعيد بـ (O) الفاقدة لخصوصية التمييز بين القريب والبعيد، فضاعت النكتة البلاغية في استعمال (يا) التي جعلت المنادي أعلى رتبة من المنادى. كما استعمل الفعل (swallow up) لترجمة (ابلعي). فجاء الفعل الإنجليزي ناقلا للحدث دون دلالته العميقة في الآية، فترتب عن ذلك ضياع أمرين: أولهما ضياع المعنى الاستعاري[19]، إذ الأصل في البلع للحيوان فاستعير للأرض، وثانيهما ما يحمله البلع من سرعة نضوب ماء الأرض، وهو أمر لا يؤدي معناه أي فعل آخر. كما لا يقدر عليه أي فاعل آخر؛ فالأمر كله كن فيكون، وأما البلع فلتقريب سرعة الإنجاز لا غير.

وجاءت لفظة (ماءك) في الترجمة الإنجليزية تارة بدون ضمير الخطاب (thy water) وتارة به (your water). فأما الأولى، فقد أضاعت المغزى القرآن؛ وأما الثانية، فترجمة لفظية غير مستوعبة لدلالة الكاف التي تفيد الماء الزائد على المعهود والذي كان سببا في الطوفان.

(ويا سماء أقلعي)

جاءت هذه الآية الكريمة متناغمة في النظم مع الآية التي قبلها. والقول في (يا سماء) كالقول في (يا أرض)؛ فجاء الفعل (أقلعي) متجانسا مع (ابلعي) ليخلق إعجازا صوتيا تعجز لغة الهدف عن الاحتفاظ به.

ولكن لماذا استعمل الله عز وجل (أقلعي) ولم يستعمل فعلا مشابها له؟ [20] والجواب هو أن المقصود هو الإقلاع لا غيره، فالإقلاع هو الإمساك بحيث يذهب وينقطع أصلا، فتنقطع السماء عن الإرسال؛ بخلاف الإمساك الذي هو التوقف الذي يفيد الاستئناف.

وإذا قارننا بين الآيتين الكريمتين:

- يا أرض ابلعي ماءك
- ويا سماء أقلعي.

يلاحظ ذكر المفعول به (ماءك) في الأولى لعدم دلالة (ابلعي) على خصوصية الماء. ولو حذفه لاستلزم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغير ذلك؛ أما الثانية، فقد حذف فيها المفعول به، وحذفه لا يخلق أي التباس، إذ ليس للسماء غير صنف واحد من المياه [21].

وبخصوص ترجمة الآية الكريمة، فما قلناه عن (يا أرض) نقوله عن (يا سماء)؛ أما ترجمة (أقلعي) ب (withhold) و(cease) ففيه ضياع كبير للوجه الإعجازي؛ فالفعلان الانجليزيان يفيدان التوقف القابل للاستئناف، في حين، أن الأمر الإلهي يفيد الإقلاع الذي لا استئناف بعده حتى تنجو سفينة نوح من الفيضان.

(وغيض الماء)

جاءت لفظة (غيض) مبنية للمجهول حتى تنتظم في سلك (قيل) التي قبلها و(قضي) التي بعدها ليخلق هذا النظم تناغما صوتيا في أعلى مراتب الإعجاز. أضف إلى ذلك هذه النكتة البلاغية التي لم يصرح فيها بمن غاض الماء، وبمن قضى الأمر، وسوى السفينة. كما لم يصرح فيها بقائل يا أرض ويا سماء في صدر الآية على سبيل الكناية، وذلك لأن تلك الأمور لا تتأتى إلا من قدير[22].

أما (الماء) فقد جاء محلى ب(أل) للمعهود الذهني، وذلك كما أورده الطيبي أنه لو حمل على العموم للزم ذهاب المياه كلها لورود الأمر وصدور الحكم الرباني[23]. وهذا ما يفسر ورود الماء بالمفرد وليس بالجمع. فلو قال: (وغيضت المياه) لتناول جميع المياه

فوق الأرض، وليس الأمر كذلك، بل إنما غاض (ماء السماء) حسب ابن الجزري، و(ماء الطوفان) على تقدير صاحب الكشاف[24].

ترجمت (غيض) في الآية الكريمة بالأفعال التالية (abate)، (diminish) و(subside) وكلها تشير إلى انخفاض ونقص في حركة الشيء. إن معنى النقص الذي تحيل إليه الأفعال الانجليزية هو جزء من معنى (غيض). فقد ورد في اللسان: غاض الماء: غار فذهب، وفي الصحاح قل فنضب[25]. إن معنى غور الماء ونضوبه غير متضمن في الترجمة الانجليزية. فالماء لم ينقص فوق الأرض، وإنما نقص حتى غار في الأعماق امتثالا لأمره عز وجل (يا أرض ابلعي ماءك).

أما (الماء) فقد ترجم بمقابله اللغوي لا غير، وقد ضاع من النقل دلالات كثيرة: فقد ضاعت دلالة (أل) للمعهود الذهني التي تميز الماء الزائد والذي كان سببا في الطوفان، كما ضاعت دلالة الإفراد التي تفيد ماء الطوفان وأن ليس المقصود المياه التي يحتاجها الإنسان لحياته، فـ (water) لا تحمل في بنيتها ما يميز بين الإفراد والجمع مما أضاع البعد الإعجازي للآية الكريمة.

(وقضي الأمر)

والقول في (قضي الأمر) كالقول في (غيض الماء)، حيث جاء الفعل منظوما على غرار (قيل، وغيض) وفي قالب صرفي متقارب، أضفى على الآية بهاء وجمالا.

أضف إلى ذلك الانسجام الصوتي، والموازنة الإيقاعية بين: (غيض الماء) و(قضي الأمر) من جهة، و(يا أرض ابلعي) و(يا سماء أقلعي) من جهة أخرى، وقد ساهم ذلك كله في جعل الآية في أعلى مراتب الإعجاز.

وقد حذف فاعل الفعل في الآية الكريمة للدلالة على أن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلا من ذي قدرة لا يكتنه؛ كما جاءت الآية الكريمة كناية عن الفصل والحكم استجابة لدعاء نوح عليه السلام.

ترجم فعل (قضي) في الآية الكريمة تارة ب (end) وتارة أخرى ب (fulfil)، إلا أن الفعلين يعتريهما نقص كبير وضياع هائل لمعنى الحكم الإلهي المبثوث في ثنايا فعل (قضي). إن معنى الانتهاء المتضمن في الفعلين الإنجليزيين لا يتضمن معنى رفعت الأقلام وجفت الصحف كما في الأمر الإلهي، بل يتضمن معنى الانتهاء النسبي والقابل للتجدد في أي لحظة. أضف إلى ذلك، أن (الأمر) الإلهي ليس بوضعية عادية (matter) أو بحكم وضعي (judjment) أو بأمر إنساني (decree). ولهذا جاءت هذه الترجمات كلها تحمل في طياتها بعدا إنسانيا عاجزا عن نقل المشهد القرآني وما تعنيه (قضي الأمر) من عظمة الخالق وجلال قدرته.

(واستوت على الجودي)

أنجز الله ما وعد به نوحا فأهلك الظالمين على جبل الجودي، وسوى السفينة، وأنجى من ركبها من المؤمنين. فجاء فعل (استوت) محذوف الفاعل، إذ لو صرح به لكان تطويلا بلا فائدة، ثم للعلم به، وأن لا أحد غيره قادر على ذلك.

ولكن لماذا استعمل الله سبحانه وتعالى (استوت) ولم يستعمل ألفاظا أخرى من نفس الحقل الدلالي كاستقرت أو رست مثلا؟ والجواب على ذلك كما أورده ابن الجزري، أن (استوت) تدل على جميع تلك الأفعال وزيادة، كما تدل على الاستقرار والسلامة والاعتدال؛ كما قال الله تعالى: (لتستووا على ظهوره) [الزخرف: 13] أو قوله تعالى: (فاستوى على سوقه) [الفتح: 29]. والمعنى أنها استقرت على جبل الجودي، فلم يصبها ما يصيب السفن المشحونة إذا رست. ولماذا لم يقل الله عز وجل (رست) علما بأنها مخصوصة بالسفن؟ يقولون: رست السفينة إذا ثبتت ووقفت على المراسي. والجواب عن ذلك: أن الرسو مخصوص بالماء، أما الاستواء فعلى الجبل[26]، ونجاة وسلامة المؤمنين من الطوفان تستلزم استواء السفينة. فجاء فعل (استوت) معجز في نظمه ومعناه، ومعبر عن أدق المعاني المقصودة معنى لا يتأتى إلا لـ (استوت) دون غيرها من الألفاظ.

أضف إلى ذلك، أن الله عز وجل قال: (الجودي) ولم يقل: (جبل الجودي؛ والجواب كما يذكر ابن الجزري: أن هذه الأسماء أعلام، فلو قيل: على جبل الجـودي، لكان من إضافة الشيء إلى نفسه وهو تطويل بلا فائدة، والمقـام مقام اختصار. كقوله تعالـى:(وناديناه من جانب الطور) [مريم 52].

ترجم فعل (استوت) في الآية الكريمة ب (rest) الذي يعني التوقف والارتخاء والاتكاء. وكل هذه المعاني تحوم حول فعل (استوت) دون أن تلامس جوهره والمقصود منه. فالاتكاء باعتباره معنى من معاني (rest) لا ينسجم مع (استوت)؛ فالسفينة لم تتكأ على الجودي، وإنما استوت عليه، وهو أكثر تعبيرا عن السلامة والنجاة. فدرجة السلامة في الاتكاء أقل من الاستواء. وكذلك الأمر بالنسبة للارتخاء المتضمن في معاني (rest). فليس المقصود ارتخاء السفينة أو ركاها، وإنما المقصود نجاتهم من الطوفان، وهو ما لا توحي به اللفظة الانجليزية. وهكذا ضاعت المعاني العميقة للاستواء، واكتفت الترجمة بنقل المعنى العباري لا غير.

أما (الجودي) فليس بهضبة (hill) كما ورد في إحدى الترجمات وإنما هو جبل. وفي القرآن الكريم ورد اسمه دون إضافته. وأما ترجمته بالإضافة في الانجليزية، فقد أفقدت معنى الآية المترجمة إيجازها ونظمها المعجز.

(وقيل بعدا للقوم الظالمين)

بدأت الآية الكريمة بفعل قيل مبنيا للمجهول لتنتظم في سلك (قيل- غيض- قضي)، فخلقت بذلك انسجاما وتناسقا لفظيا في أعلى مراتب الإعجاز. أضف إلى ذلك، أن فاعل هذه الأفعال هو الذي قال للأرض بأن تبلع، وقال للسماء بأن تقلع، وأمر الماء بأن يغيض، وهو الذي قضى أمره. فجاء حذف الفاعل انسجاما مع نظم الآية الكريمة، فعظمته ووحدانيته تغنيان عن ذكره.

خاطب الله عز وجل القوم الظالمين ب (بعدا)، واللفظة مأخوذة من بعد إذا تباعد فهو بعيد[27]، ويضيف السكاكي أن التعبير القرآني اختار المصدر طلبا لتأكيد معنى الفعل بالمصدر مع الاختصار، وهو نزول (بعدا) وحده منزلة (ليبعدوا بعدا)، وقد اختصت (بعدا) في كلام العرب بدعاء السوء، وأن مصير الظالمين الهلاك والموت[28]. وتساءل ابن الجزري: لماذا قال الله عز وجل (بعدا) وليس (طردا) أو (هلاكا)؟ والجواب عن ذلك: أن (بعدا) وقعت موقع التورية التامة إذ تتضمن المعنيين معا (الطرد والهلاك)[29]، وجزاء الظالمين الطرد والهلاك. وتحقق هذا المعنى لا يتأتى إلا في (بعدا) دون غيرها. فيكون قوله تعالى: (وقيل بعدا) كناية عن إهلاك الظالمين.

وسمى الله عز وجل هؤلاء الظالمين ب(القوم). والقوم في اللغة مخصوص بالرجال دون النساء، وربما دخل فيه النساء على طريق التبع، لأن قوم كل نبي رجال ونساء[30]. كما جاءت لفظة (القوم) في القرآن الكريم مقرونة باللام (للقوم) لتقوي العامل الضعيف.

ولكن، لماذا قال الله عز وجل القوم في (بعدا للقوم الظالمين) ولم يقل الناس؟ والجواب عن ذلك كما أورده ابن الجزري: أن القوم حيث ورد الإخبار عنهم مطلقا كان المراد به المخالفين لنبيهم الخارجين عن طاعته والجهلة الطغام، كقوله تعالى: (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط) [الحج 43]، أما (الناس)، فحين وردت في القرآن يراد به الفضلاء الأكياس كقوله تعالى: (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) (البقرة: 13)، فتعني حينئذ أن يذكر هنا القوم دون الناس وغيره مما لا يقوم مقامه[31]، فوصف الله عز وجل هؤلاء القوم ب (الظالمين)، وذلك أن جزاءهم جاء نتيجة ظلمهم، كما أخبر الله عز وجل في الآية (37) من سورة هود. (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون)، فجاءت كلمة (الظالمين) هنا لتناسب (ظلموا) في الآية السابقة[32].

أما عن ترجمة هذه الآية، فلم تستطع أي منها أن تنقل الدلالات العميقة التي تحملها ألفاظ الآية الكريمة. فقد اعترى الترجمة الانجليزية ضياع هائل، ضياع يعزى إلى المترجم ولغة الهدف في آن واحد. فقد غابت عن المترجم دلالات لا تدرك من المعنى العباري

للآية، مما جعل ترجمته لا تتعدى المعنى السطحي للآية. كما يعزى الضياع الهائل إلى لغة الهدف أيضا، وذلك أن رحم ألفاظها يضيق عن حمل معاني القرآن الجليلة.

فقد ترجمت (بعدا) ب (away with) وهي ترجمة ضعيفة أضاعت معاني كثيرة من الأمر الإلهي. فليس المعنى فقط أمرا بالذهاب أو بالإبعاد كما هو حال اللفظة الانجليزية؛ وإنما هو أمر العزيز القدير بطرد قوم نوح وإهلاكهم جزاء بما كانوا يفعلون. فمن يقرأ (away with) لا يلمس جلالة وعظمة المشهد، وإنما هو وصف عادي لا يتجاوز الحياة العادية للناس.

أما كلمة (قوم) وما تحمله من خصوصية في الاستعمال القرآني، فإن لغة الهدف عاجزة عن إيجاد مقابل لها، ولذلك نجد ترجمتها في اللغة الانجليزية تارة باسم إشارة (those)، وتارة (people) وتارة محذوفة، فضاع معنى الجهلة مقابل الأكياس الخيرين.

خاتمـــة:

نخلص مما سبق ذكره في ثنايا المقال أن ترجمة الكلام الإلهي تختلف كثيرا عن ترجمة الكلام البشري: فالكلام الإلهي قول ثقيل معجز، والكلام البشري كلام خفيف غير معجز. فالأول محاكاته مستحيلة، والثاني ممكنة. ولذلك وجب التفكير في بلورة نظرية ترجمية خاصة بكتاب الله، تراعي خصوصيته الإعجازية، وتنطلق منه لتعود إليه، قصد تحفيز (القارئ الهدف) على ضرورة العودة للغة الضاد لتمثل ما تعجز لغـــة الهـــدف عـــن نقلـــه.

إن معظم مفاهيم نظرية الترجمة صالحة وعملية في نقل الكلام البشري، لكنها عاجزة عن ذلك في الكلام الإلهي. إن مفهومي (الربح والضياع) (Loss and gain) مثمران ومجديان في ترجمة الكلام البشري ومفلسان في الكلام الإلهي. وقد أثبتنا في ثنايا هذا المقال، أنه لا يمكن الحديث في ترجمة القرآن الكريم إلا عن (الضياع) وحده دون أي (ربح) في لغة الهدف. فعلى لغة الهدف في أحسن الأحوال أن تنقل المعالم الكبرى

بقارئ لغة الهدف لتحفيزه على العودة إلى لغة القرآن ليتدارك الضياع الهائل الذي يعتري عملية النقل. ونلخص فيما يلي أنواع الضياع في الآية الكريمة.

الضياع الصوتي: لم تستطع الترجمة الانجليزية أن تنقل الانسجام الصوتي الذي خلقته الأفعال المبنية للمجهول (قيل-غيض- قضي- قيل)، والجملتان النداءيتان (يا أرض ابلعي- يا سماء أقلعي)، كما ضاع في عملية الترجمة أيضا البعد الصوتي للجناس في (ابلعي- أقلعي) والذي أضاف موازنة صوتية زادت من روعة الجملتين النداءيتين، كما ضاعت تلك السلاسة والانسياب التي يحس بها المرء وهو يقرأ أو يرتل أو يجود آية (يا أرض ابلعي).

الضياع النظمي: يعد نظم القرآن سر إعجازه، وبضياع النظم يضيع الإعجاز، ولهذا فإن إعجاز القرآن لا يمكن نقله لارتباطه بلغة التنزيل. إن فصاحة هذه الآية وبلاغتها وإعجازها مرتبط بنظمها في لغة التنزيل، فلو أخذت الكلمات نفسها وغيرت مواقعها داخل النظم زال ذلك الحسن والجمال[33]، فما بالك عند ترجمتها حين يضيع النظم ومعاني النظم.

الضياع الدلالي: أثبتنا في ثنايا المقال، أن دلالات كثيرة ضاعت في عملية الترجمة، ويعزى هذا الضياع تارة إلى المترجم، لقصور إلمامه بالعلوم اللغوية والشرعية، ولهذا دعونا وشرعنا في إنجاز بنك بياني لآيات الذكر الحكيم، نستجمع فيه من مختلف العلوم اللغوية والشرعية التي حاولت فهم القرآن الكريم ما يعين المترجم على تمثل مراد الله. كما يعزى الضياع تارة إلى لغة الهدف التي لا تحتوي على مقابلات لنقل معاني الأصل. كما هو الشأن في (يا)، (ابلعي)، (اقلعي) إلخ. دون أي ربح في لغة الهدف.

الضياع البلاغي: إن علم البلاغة بمعانيه وبيانه وبديعه حاضر في الآية الكريمة، إذ لم تحتفظ الترجمة الإنجليزية بأية ظاهرة من هذه الظواهر، فقد ضاعت كلها في عملية

النقل: فقد ضاع الجناس بين (ابلعي – أقلعي)، كما ضاعت الاستعارات: (ابلعي – أقلعي) والكنايات: (الأرض)، (قضي الأمر)،(استوت)، ومعاني النحو: في (النداء) و(البناء للمجهول) و(الإضافة) و(الحذف) وضاع الإيجاز (معاني كثيرة في ألفاظ قليلة)، و لم تحتفظ الترجمة إلا بألفاظ معجمية تنقل الحدث في أحسن الأحوال. وبضياع كل ما سبق، يضيع ما تجلى لك من الآية من إعجاز، وما بهرك من الذي ترى وتسمع، وضاعت الروعة والهيبة اللتان تحيطان بك وأنت تقرأ الآية الكريمة.

الهوامـــش:

1 Thinking French Translation : p 21.
2 Thinking Arabic Translation : p 21.
3 Translation Studies : p 30
4 Thinking French Translation : p 23.
5 Thinking Arabic Translation : p 22.
6 Ibid : P22
6Ibid : p21

7 Thinking French Translation : p 23.
8Ibid : p21
9 Ibid : p20
[10] Language Structure and Translation :p33

[11] الإشارات والتنبيهات: ص 228
[12] كفاية الألمعي: ص127
[13] الإشارات والتنبيهات: ص 228
[14] نفسه: ص228
[15] كفاية الألمعي: ص 134
[16] نفسه: ص 166
[17] نفسه:ص166
[18] الإشارات والتنبيهات: ص229
[19] نفسه:231
[20] كفاية الألمعي: ص166

[21] الإشارات والتنبيهات : ص229
[22] مفتاح العلوم: ص420
[23] كفاية الألمعي: ص138
[24] نفسه: ص169
[25] لسان العرب: مجلد 7: مادة (غيض)
[26] كفاية الألمعي: ص 181
[27] مفتاح العلوم: ص460
[28] الكشاف: المجلد الثاني: ص 271
[29] كفاية الألمعي: ص 195
[30] نفسه: ص155
[31] نفسه: ص175
[32] نفسه: ص176
[33] راجع مفهوم النظم في دلائل الإعجاز.

إدارة المجلـة

الرئيس الشرفي: أ.د. سلاطنية بلقاسم
مدير المجلة: أ.د. عبد الرحمان تبرماسين
رئيس التحرير: د. عبد المجيد دقياني
أمين التحرير: أ. بخوش علي

العنوان: كلية الآداب واللغات، ص.ب 145 ق. ر، جامعة محمد خيضر بسكرة

المراسلات والاشتراك:

تبعث جميع المراسلات إلى الأستاذ الدكتور: عبد الرحمان تبرماسين
مدير مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها
كلية الآداب واللغات
مكتب رقم: 19
ص.ب – ق.ر 145 بسكرة 07000
هاتف: 213 033 74 12 02
البريد الالكتروني: daha_tiber@hotmail
للإطلاع الموقع الالكتروني: www.labreception.net

تم طبع هذه المجلة لدى مطابع دار علي بن زيد للطباعة و النشر بسكرة
الهاتف : 033.75.99.01

مجلـة قـراءات

مجلة سنوية متخصصة تعنى بقضايا القراءة والتلقي

تصدر عن مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها

قسـم الأدب العربـي

كليـة الآداب واللغـات-جامعة بسكرة-

العـدد: الثالـث

الترقيم الدولي: ISSN 1112 -9468

رقم الإيداع القانوني: 5325- 2009

مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها

قسم الأدب العربي

كلية الآداب واللغات

- جامعة بسكرة -

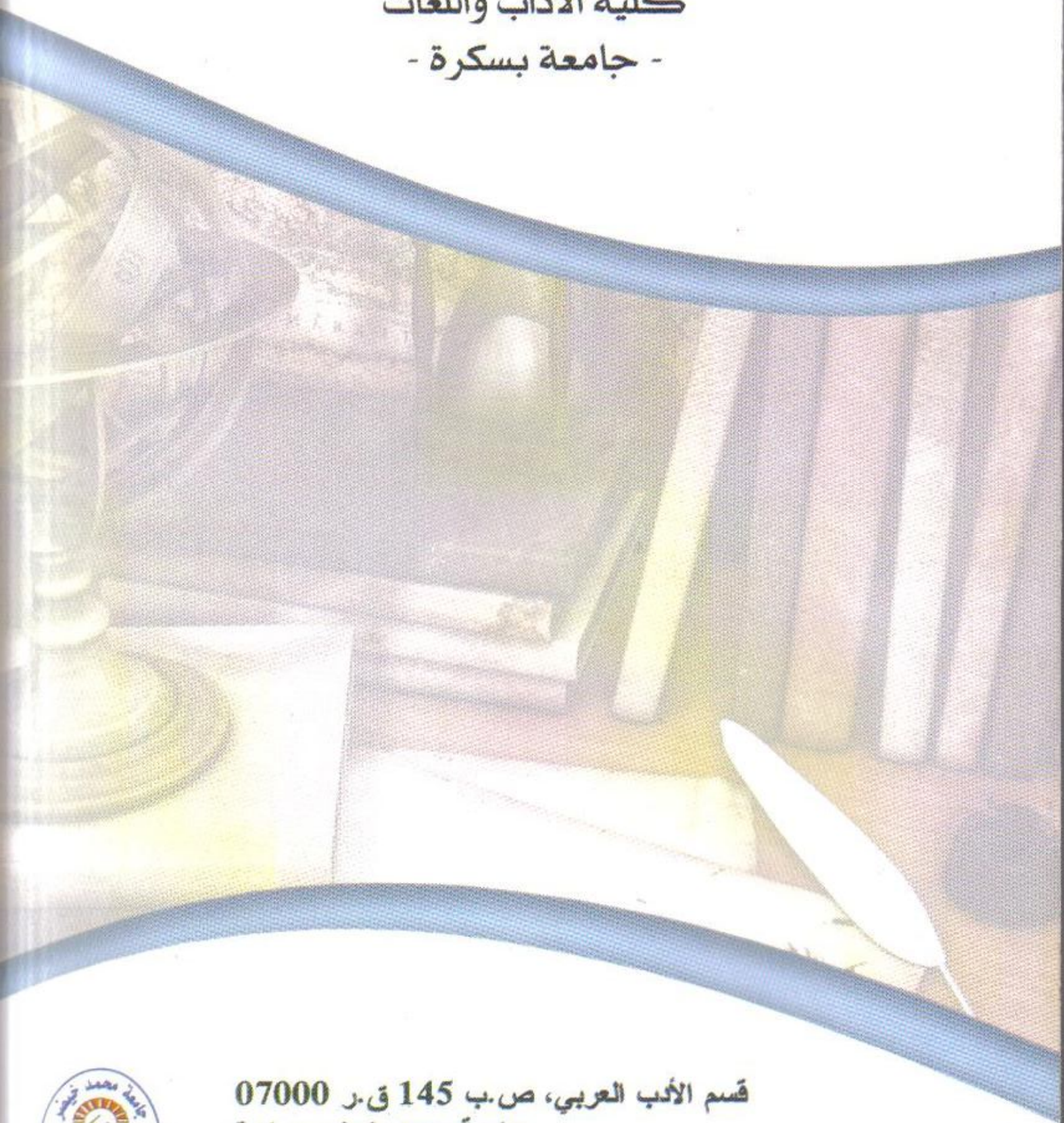

قسم الأدب العربي، ص.ب 145 ق.ر 07000
جامعة محمد خيضر بسكرة
الموقع الإلكتروني : www.labreception.net

ISSN 1112-9468

قراءات

مجلة سنوية محكمة متخصصة تعنى بقضايا القراءة والتلقي
تصدر عن مخبر وحدة التكوين والبحث في نظرية القراءة ومناهجها

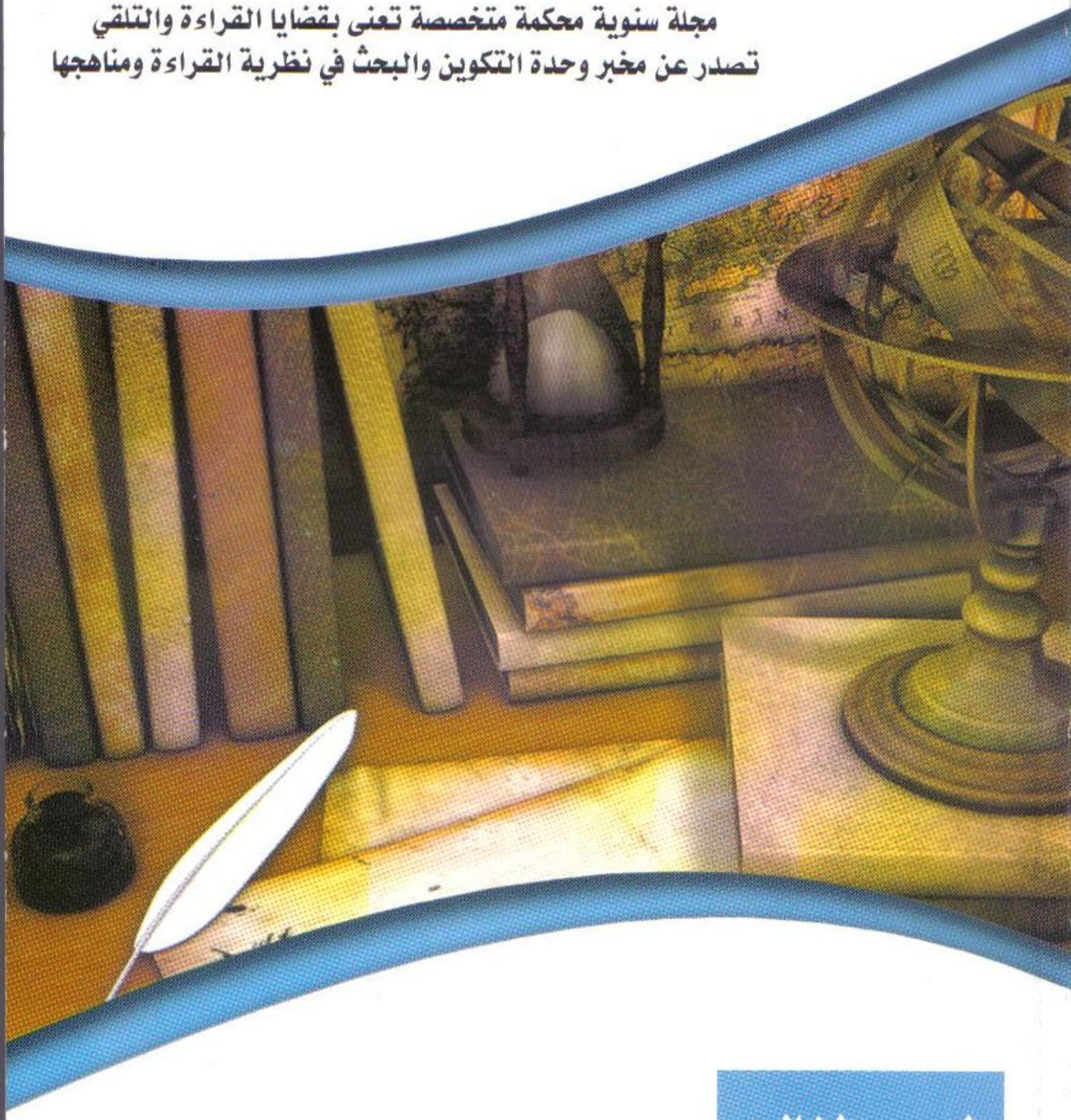

العدد الثالث